هوامش

وفقاً لدراسة أعدها باحثون في معهد برشلونة للصحة العالمية (ISGlobal)، فإنّ تعرض المجتمعات الأوروبية إلى الحرارة انخفض تدريجياً على مدار القرن الحالي

سجّلت إيطاليا ودول في جنوب أوروبا أعلى نسبة وفيات مرتبطة بالحرارة (بابلو إسبار تزا/ الأناضول)

ارتفاع الحرارة

مقتل أكثر من 47 ألف أوروبي عام 2023

محمد الحداد

تسبب ارتفاع درجات الحرارة إلى مستويات غير مسبوقة في وفاة أكثر من 47 ألف شخص في أوروبا في عام 2023، وهو العام الأكثر دفئاً على الإطلاق على مستوى العالم، وثاني أكثر الأعوام دفئاً في أوروبا. ورغم أن البشر يظهرون قدرة أفضل على الصمود في مواجهة درجات الحرارة المرتفعة، فإنّ الخبراء يحذّرون من أن الحكومات يجب أن تتخذ إجراءات للتخفيف من آثار المزيد من الاحتباس الحراري العالمي.

وفقاً لدراسة أعدها باحثون في معهد برشلونة للصحة العالمية (ISGlobal)، نشرت يوم 12 أغسطس/ آب الحالي في مجلة «نيتشر ميديسن»، فإن تعرض المجتمعات الأوروبية إلى الحرارة انخفض تدريجياً على مدار القرن الحالي، ويقدرون أنه من دون عمليات التكيف المجتمعية هذه، كان عبء الوفيات المرتبطة بالحرارة خلال العام الماضي ليكون أعلى بنسبة 80%.

استخدم الباحثون في هذه الدراسة سجلات درجات الحرارة والوفيات من 823 منطقة في 35 دولة أوروبية للفترة من 2015 إلى 2019 لملاءمة النماذج الوبائية المرتبطة بالحرارة في كل منطقة أوروبية على مدار عام 2023.

كان جنوب أوروبا الأكثر تضرّراً، حيث سجلت اليونان وبلغاريا وإيطاليا وإسبانيا وقبرص أعلى نسبة من الوفيات المرتبطة بالحرارة لكل مليون نسمة. وفي ما يتعلّق بعدد الوفيات الفعلية، شهدت إيطاليا أعلى عدد من الوفيات، فتوفي 12 ألفاً و743 شخصاً بسبب الحرارة. وسجلت بلجيكا 324 حالة وفاة مرتبطة بالحرارة.

كان معدل الوفيات أعلى بنسبة 55% بين النساء منه بين الرجال، وأعلى بنسبة 76% بين الأشخاص الذين تزيد أعمارهم عن 80 عاماً مقارنة بالأشخاص الذين تتراوح أعمارهم بين 65 و79 عاماً. تشير المؤلفة الرئيسية للدراسة، إليزا غالو، باحثة ما بعد الدكتوراه في معهد برشلونة للصحة العالمية، إلى أن معدلات الوفيات كانت لتكون أعلى بنسبة 80% إن لم يُظهر المجتمع قدرةً أفضل على الصمود في مواجهة الحرارة الشديدة في السنوات الخمس والعشرين الماضية. وتوضح غالو، في تصريحات لـ«العربي الجديد»، أنّ الظروف الاجتماعية والاقتصادية الأفضل، والسلوك الفردي وتدابير الصحة العامة، ساهمت في التخفيف من حدة تأثيرات موجات الحرارة، إذ «تظهر نتائجنا كيف كانت هناك عمليات تكيف مجتمعية مع درجات الحرارة المرتفعة خلال القرن الحالي، والتي قللت كثيراً من الضعف المرتبط بالحرارة وعبء الوفيات في فصول الصيف الأخيرة، وخاصة بين كبار السن».

وتشدّد الباحثة على ضرورة الجمع بين تدابير التكيف وجهود التخفيف من جانب الحكومات والسكان لتجنب الوصول إلى نقاط التحول والعتبات الحرجة في توقعات درجات الحرارة. «يشير هذا إلى أننا أقل عرضة للحرارة مما كنا عليه في بداية القرن، ربما نتيجة للتقدم الاجتماعي والاقتصادي العام، وتحسينات السلوك الفردي وتدابير الصحة العامة مثل خطط الوقاية من الحرارة التي نُفذت بعد صيف 2003 القياسي»، تقول غالو.

يحذر مؤلفو الدراسة من أن هذه الأرقام قد تُقلل من تقدير عبء الوفيات المرتبط بالحرارة الفعلي. ونظراً إلى عدم توفر سجلات الوفيات اليومية المتجانسة خلال عام 2023، فقد اضطروا إلى استخدام إحصاءات الوفيات الأسبوعية من قاعدة البيانات المكانية الأوروبية «يوروستات».

وفي دراسة حديثة نُشرت في مجلة «لانسيت ريجونال هيلث» أظهر نفس المؤلفين أن استخدام البيانات الأسبوعية من شأنه أن يؤدي إلى التقليل من تقدير عبء الوفيات المرتبط بالحرارة، ووصفوا منهجية لتصحيح هذا التحيز. يقدر الباحثون أن عدد الوفيات المرتبطة بالحرارة في عام 2023 ربما كان في الواقع نحو 58 ألف حالة وفاة في 35 دولة تمت دراستها، على الرغم من أنه لا يمكن الحصول على تقدير أكثر دقة إلا إذا جرى توفير قواعد بيانات الوفيات المحسنة للمجتمع العلمي.

ويلفت الباحثون إلى أن الحرارة الشديدة لها تأثير ضار على واحد من كل خمسة أطفال في العالم، إذ يعيش نحو 465 مليون طفل في مناطق تضاعف فيها احتمال حدوث موجة حر في العقود الستة الماضية، وهي حقيقة يجب أن تكون بمثابة «تحذير صارخ» حول سرعة وحجم تغير المناخ.

باختصار

استخدم الباحثون سجلّات درجات الحرارة والوفيات من 823 منطقة في 35 دولة أوروبية للفترة من 2015 إلى 2019 لملاءمة النماذج الوبائية

■■■

هناك ضرورة للجمع بين تدابير التكيف وجهود التخفيف من جانب الحكومات والسكان لتجنب الوصول إلى العتبات الحرجة في توقعات درجات الحرارة

■■■

يلفت معدّو الدراسة الجديدة إلى أن الحرارة الشديدة لها تأثير ضار على واحد من كلّ خمسة أطفال في العالم

وأخيراً

إنسانية القضية الفلسطينية وكسر جليد الهيمنة

محمود الرحبي

يحتاج الأمر وقتاً طويلاً وصبراً غير هيّن لكسر جليد أحادية الإعلام الغربي، خاصّة في ظلّ هيمنة اللوبيات الصهيونية عليه، هذا الإعلام هو مَنْ يوجّه أنظارَ (وعقولَ) الشعوب الغربية إلى وجهةٍ هو مولّيها. ما كسر ذلك الجدار هو الصور الدامية المؤلمة اللاإنسانية، التي تشكّل عاراً على الضميرين السياسي والثقافي العالميين، التي تأتينا من قطاع غزّة، وجديدها أخيراً صور وفيديو الأب الذي فقد ابنتيه التوأمين في وقت كان يستخرج لهما شهادتي ميلاد، فصارت الولادة ورقيةً مثل الصورة الجامدة للجثّتَين البريئتَين، إذ تزامن توثيق الولادة مع توثيق الجيش النازي للموت. سيكون الإيجابي في هذا المشهد الدامي والمرعب هذه الصحوة الضميرية المتقطّعة في العالم الغربي، الذي ظلّت أعينه معصوبةً عن رؤية الحقّ الفلسطيني في العيش، وفي أن تكون له دولةٌ آمنةٌ على غرار جميع شعوب الأرض.

قدّم كلٌّ من الأديب ألبرتو مانغويل والفيلسوفة جوديت بتلر كتاب «الوصايا: شهادات مبدعات ومبدعين من غزّة في مواجهة الموت» (دار مرفأ بيروت، 2024)، جمعت فيه الشاعرة والمترجمة الفلسطينية ريم غنايم 17 وصية لمبدعين من غزّة، بعضهم ارتقى شهيداً بعد كتابة نصّه. يمكننا أن نرى مشاهد تطاول فنّانين نجوم ولاعبي كرة قدم يتوشّحون الكوفية الفلسطينية، ما يُؤكّد تبلورَ ردّات فعل ضميرية تخالف جذرياً توجّهات الإعلام الغربي، القائم على غسل أمخاخ شعوب الغرب تجاه أكثر قضيّةٍ عادلةٍ في العالم، ناهيك عن أنّها أكثر قضية تُصوَّر فيها الإبادة كلّ يوم، ومباشرةً من قلب الحدث. صارت هذه الصورة اللاإنسانية المروّعة تخترق جدار العالم «الديمقراطي» بلا هوادةٍ. وربّما سنرى بعد حين انعكاس ذلك كلّه في الفن والأدب الغربيَين، وهذا من الطبيعي أن يحدث، وستكون بذلك فلسطينُ قضيةَ الضمير العالمي الأولى، أو ستستعيد مكانتها الأدبية، التي بدت تُمحَى أو تُنسَى من الضميرين الأدبي والفنّي العالميين.

ظلّ الفلسطيني يصرخ عقوداً «لا تعايشَ مع الألم» ولم يسمعه أحدٌ، وعلى العالم أن يرى بلاغةً أخرى لهذا الألم. لقد بدأت القضية الفلسطنية العادلة بوخز الضمير الغربي، وتفكّك التبعية، ويجب أن نتحدّث هنا عن الأنظمة الغربية بكامل الحرّية، لأنّها أنظمةٌ تقوم على الهيمنة خارجياً على الأنظمة الضعيفة والمهتزّة، وداخلياً على أدمغة شعوبها، والسبب في غاية البساطة ولا يحتاج إلى تأمّل شديد، لأنّ الإنسان بطبيعته وفطرته ضدّ الظلم، وضدّ قتل العُزَّل والأطفال والشيوخ، وبعد ذلك تجويعهم وحصارهم. لكنّ هذا الظلم في السابق لم يكن يصل إلى هذه الشعوب إلّا عبر فلترة إعلامية، من وظيفتها أن تحوّل الجلّاد ضحيةً لكي تُمكّنه من مزيد من آلات القتل كما تفعل بشكل صارخ، ليس أميركا فقط، إنّما حتّى ألمانيا، بلد أنوار العقول، وغيرها من دول العالم، التي تزوّد الجيش الإسرائيلي بأفتك أدوات القتل، والتي تصبُّ حممها أمام أنظار العالم فوق رؤوس الأبرياء العُزَّل، بما فيهم المرضى في مستشفياتهم، والرضّع، بل حتّى الأجنّة في بطون أمهاتهم.

كان المواطن الغربي والأميركي كالأعمى الذي يقوده الكذّاب، وهو يُخبره بما يريد أن يراه، وليس بما هو موجودٌ حقيقةً. ولكنّ ما حدث الآن، وبسبب وسائل التواصل الاجتماعي، رغم الحصار والتشويه، أنّ ما نفذ من حقائق، رغم قلّتها، نقل جانباً من الصورة اللاإنسانية المرعبة التي تحدث في فلسطين. كان المواطن الغربي لا يرى الفلسطيني إلّا في صورة الإرهابي المُركَّبة، ولكن حين انكشفت وطارت صور القتلى من الأطفال، والنساء، والكهول، والمدنيين العُزَّل، مع صرخاتهم، التي تكاد أن تخترق جمود الصورة، خدشت هذه الصور جدار الجليد، وعكست لنا مشاعرَ مُتعدّدة، وإن كانت بسيطةً ومتقطّعةً، من فقرات التضامن الشعبي العالمي.

> صرخ الفلسطيني عقوداً «لا تعايش مع الألم» ولم يسمعه أحد، وعلى العالم أن يرى بلاغة أخرى لهذا الألم

يقول محمود درويش في رائعته «جدارية»: «يا موت هزمتك الفنون جميعها».. الفنُّ يمكنه أن يجد مكانه في حياتنا الموحشة، جداريات من مختلف أنحاء العالم هذه المرّة ستأتينا، ولا بدّ أنّنا على موعدٍ مع تجلّياتٍ فنّيةٍ وإبداعيةٍ كثيرةٍ أيقظتها صورٌ لاإنسانيةٌ مؤلمةٌ «خالدةٌ» جاءتنا من غزّة، لا يمكن أن تمحيها الأيام بسهولة، ستنبعث كلّ مرّة من الرماد في أشكال جديدة، تُوثّق الجريمة الدولية المشتركة في عالم كنّا نظنّه مُتحضّراً ومُنصِفاً تجاه أكثر قضيّةٍ عادلةٍ في أروقة الأمم المتّحدة والضمير الرسمي العالمي الغائب، ألّا وهي القضية الفلسطينية.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,50**, Austria **€ 2,50**, Belgium **€ 2,50**, France **€ 2,50**, Germany **€ 2,50**, Holland **€ 2,50**, Italy **€ 2,50**, Spain **€ 2,50**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 10,00**, USA **$ 2,00**